

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر أمم : اذا كان عظيما ، وامر أمم : اذا كان صغيرا . وقال الاصمعي : امر أمم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الامم : القريب . وقال عمرو بن قميئة في الصغير :

يا ليف نفسي على الشباب ولم
أفقد به اذ فقدته أمما

وقال الاعشى :

لئن قتلتهم عميدا لم يكن أمما
لنقتلن مثله منكم فتمتسل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب في معنى التصد :

اتاني عن بني الاحرا
ر قول لم يكن أمما
ارادوا نحت اثلتنا
وكنا نمنع الخظما

وانشد ابو عبيدة في معنى القريب :

يا ليت شعري عنك والامر أمم
ما فعل اليوم اويس في الغنم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد في معنى القريب :

« قومي اياد لو أنهم أمم »

اي لو أنهم قريب . وقال الآخر :

كوفية نازح محلتها
لا أمم دارها ولا صقب

ويروى : « لا سقب » بالسين ايضا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقية بدارنا : اي قريبة منها . وفي حديث الشفعة : « الجار اولي

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .

(26) 47 . وانظر الفهارس .

— او أحق — بسقيه « : اي بما دنا منه وقرب من داره » . ذكر ابا زيد ، والاصمعي ، و ابا عبيدة ، وقطربا ، و ابا حاتم .

ونستخلص من دراسة اضداد ابي الطيب الظواهر التالية :

الانتظام : فقد باقت الاضداد عنده نضحها في اندراسة ، وغايتها في الانتظام الداخلي . فالمعاني تقدم في مفتتح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين . فيعتمد على الشعر كما رأينا في المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى في قوله (25) : « ومن الاضداد بطانة الثوب . يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن في قول الله تبارك وتعالى : « بطائنهما من استبرق » قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها . تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، لذى نرى منها . وقال الزبير في قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا في البلاد . وقال آخرون في هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبرق ، وهو الغليظ الفاخر من الديباج ، فالظواهر أشرف واعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثل قوله في مادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فماله الذي باعه الا ان يشترط المبتاع » اي المشتري . فالمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشتري ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع . وفي حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيعان — يعني البيع والمشتري — والبيع قائم بعينه ، فالقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المبيع . وفي حديث آخر : « البائع بالخيار » يريد البائع والمشتري .. وفي حديث آخر رواه ابن

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبايعان استحلف البائع ، ثم كان المتبايع بالخيار » .

ويعتمد على اقوال الصحابة، كما رأينا في ظهر، وكما نرى في قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيعوا لي كفنا ، اي اشتروه لي » .

ويعتمد على اقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس في حياتهم اليومية ، كما رأينا في ظهر ، ونرى في قوله ايضا (28) : « ذكر اعرابي جريرا فقال : كان سفيرا اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال ايضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنه عندهم جميعا ، والجمع بشرات وبشر ... ابو زيد : تقول العرب في مثل : « اراك بشر ما احار مشفر » وبعضهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل من بني اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفي لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى في قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاة في الـ
سبيت الذي يستظل في ظنـبه

اراد نقيه من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها . وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيرا من الشواهد الى من انشدها كما رأينا في أمم : ونرى في قوله : « الامين : المؤمن ، والامين المؤمن ، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد ابو حاتم للناطقة في معنى المفعول به .

وكننت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليماني »

- (27) 45 . وانظر الفهارس .
(28) 45 . وانظر الفهارس .
(29) 74 . وانظر الفهارس .

واغترف ابو الطيب من اضداد سابقيه ، وما اتوا به في سبيل تفسيرها وتعليلها وتقددها

والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول الى قائله ، حتى في الاحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، اشار الى ذلك . فكان اكثر من جمع بين عبارته قطرب وابو حاتم . وجمع ايضا بين التوزي ، وقطرب وابي عمرو ، وقطرب وابي عبيدة . وجمع احيانا بين اقوال ثلاثة منهم معا ، مثل قطرب وابي حاتم والتوزي ، وابي عبيدة وابي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان كثرت الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الانباري ، وان تمثلت في كتابه جميع الظواهر التي وجدت في كتبهم ، في الاضداد والشواهد والتفسير . بل ان ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعه في آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يبلغ شخصية ابي الطيب . فما اكثر تعليقاته الشخصية التي يورد بعضها عن لغويين آخرين ، ويأتي بعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها الى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما الى ذلك من امور .

والحق انه يبادل كتاب ابن الانباري قدرا واهمية . ويفوقه في اتجاهه الادبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الاحاديث عنده ، وفوائده التي اضافها ، واصرارها على نسبة كل قول الى صاحبه ، وما ادخله على الاضداد من ترتيب . اما ابن الانباري فيفوقه في القرآنيات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان في مقدمة اضداده انه نظر في كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالا : اذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف ان يخرج مختصرا حاويا للاضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من انكر الاضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله ابو الطيب في ترتيب اصداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الاصلي الاول واهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورد اللفظ الضدي له معناه . وعلق من وقت لآخر على بعض الاضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبيعي ان الكتاب حوى الانواع المتعددة من الاضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي اشار منها الى كتب الاصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وتعلب والسجستاني وابن الانباري .

وامثل لنهج الكتاب بما يلي :
« الأمين : المؤمن والمؤمن .

الماتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

- اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .
- اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .
- الأمم والأمم : التحقير والعظيم .
- الاشرة : الاشارة والمأثورة .

— * —

كتاب الصغاني

في اوائل القرن السابع ، اخرج الصغاني كتابا في الاضداد ، وصل الينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتتح الكتاب بالعبارة التي يبدو ان الصغاني كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسطة والحمد ، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بانه قرا جميع كتب الاضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصغاني على كتاب في الاضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله اول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا الى اوائل الحروف ، فحرفها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على

الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الالفاظ الا على حروفها الاصلية . اما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الاخيرة انه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تمحيص او نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معا . وقد اشار الى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الاضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكنني قفوت فيه آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره ، حذار ان يقال : اهل شيئا مما اثبتوه ، فليمهد العذر العائر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا » .

وحين ندرس الكتاب لثرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الاولى جمع 337 ضدا ، ولكنه لم يذكر كل ما في اضداد قطرب وابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد حذف من الاولى حوالي 67 ضدا ، ومن الثانية حوالي 10 اصداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضدا . واتى في مقابلها بقريب من 75 ضدا ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على اساس الشك والنقد ، اذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه . اصف الى ذلك ان كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الاضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 210 ، 185 ، 85 ، 214 ، 218 ، 213 ، 24) . ولكن تجب الاشارة الى ان كثيرا مما حذفه خاطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) او مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 265 ، 243 ، 242 ، 257 ، 271) او انفرد به قائلوه (16 ، 100 ، 105 ، 96 ، 17) واكثر ما حذفه من اصداد ابن الانباري ، او ينطوي تحت صيغ فعول (60 ، 158 ، 159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) او فعيل 203 ، 204 او افتعل (175) .

اما المنهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : ايراد اللفظ ومعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد ذلك . فلا ذكر للغويين الذين يأخذ عنهم الا قليلا (490 ، 688 ، 706) ولا ذكر لشواهد ، ولا لمستقات ولا لمعان اخرى للاضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الاضداد » . وهالك بعض الامثلة :

وسار المؤلف ايضا على نهج القاموس فى العناية بالتفسير وحده ، وحذف الشواهد . فكان يورد اللفظ ثم معنييه المتضادين . وكان فى غالب الاحيان يحافظ على نص القاموس ايضا . وهذه بعض الامثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال : « ثانياً الابل : عطشها وارواها . وثالثات : عطشت ورويت . جفاً الباب : اغلقه وفتحته كأجفاه . خجىء : استحيا وتكلم بالفحش . وادأ الشيء : حركه وسكنه . داراته : دافعته ولاينته . رقا بينهم : افسد واصلح . القراء : الحيض والطهر . ناء بالتحمل : نهض مثقلا ، واثقل فسقط . وراء : خلف وقدام » .

— * —

كتاب محمد المدني

تقتني المكتبة السليمانية بالاستانة رسالة اخرى فى الاضداد للشيخ محمد المدني ، تماثل الرسالة السابقة او تكاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءا منها من الزهر للسيوطي ، ومن اضداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجت ما صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقا يذكر ، لاعتمادهما الرئيسي على القاموس المحيط فى الاضداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثانياً الابل : ارواها وعطشها ضد . وثالثات الابل عطشت ورويت ضد . جفاً الباب : اغلقه كأجفاه وفتحته ضد . داراته : داريته ودافعته ولاينته ضد . رقا بينهم رقا : افسد واصلح ضد . القراء ، وبضم : الحيض والطهر ضد » .

— * —

دورق الانداد للبياري وشروحه

وفى اوائل العصر الحديث شارك الشعر فى حركة الاضداد ، فألفت فيها الرسائل المنظومة ووصل اليها من هذه الحركة رسالتان . اولاهما المسماة « دورق الانداد فى نظم أسماء الاضداد »

« الابض : السكون والحركة .
الابل : الرطب واليبس .
الماتم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .
الارة : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها ايضا .
الأزر : القوة والضعف .
أسد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .
افسد : اذا اسرع واذا ابطأ .. الى آخر الكتاب » .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عنده . فقد قدم « اون » على « أور » و « تصدق » على « صامت » و « قانس - قنيص - قانع فتوع » على « قموء » والعكس اصح . كما قدم « ناء » فى اول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء التكلم « نوت » والاصح وضعها فى التون مع الواو .

— * —

كتاب عبد الله بن محمد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الاضداد عنوانها : « ذكر بعض الاضداد التى ذكرت فى القاموس » جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ... » . تحت رقم 241 مجاميع وهى ورقات ، ناقصة من آخرها . اذ وقفت فى اثناء مادة « القتين » .

وواضح من عنوانها ان المؤلف جمع ما فيها من اضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه فى اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد يعثر عليه . ولم يختر المؤلف الاضداد التى نبه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على انها من الاضداد . ولم يغير المؤلف فى ترتيب الالفاظ التى اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، اى على الحرف الاصلي الاخير اولاً ، فالحرف الاصلي الاول ثانياً ، فحروف الوسط الاصول مرتبة ..

ويريد بالبيت الثاني - كما نص شارحه - :
 « ان كثرت الاضداد بان كان اللفظ مشتركا بين
 اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من
 الأربعة مثلا . بما يفنى عن الضد من كل منها وذلك
 اني اذكر معنيين فقط : كل منهما محذوف الضد
 لينفهم المحذوف بالمذكور » .
 وسار في ضبط الفاظه على هدى القاموس المحيط ،
 قال :

ينبيك قاموسها بالاصطلاح لها
 اذ منه مرجانها والاولى انتظما
 ما كان مهمل او مفتوحا اوله
 اطلقته وضبطت الغير معتصما
 والوزن فيما له قد حركوا اوله
 قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما
 فان ضرورة شعر قد دعت لسوي
 هذا ، اشرت اليه خوف ان تهما

واتبع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه ،
 فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير
 للكلمات التي فيها . وترتب الكلمات في داخل هذه
 الابواب بحسب حروفها الاولى فالوسطى . ولكن
 الشعر ارغمه احيانا على الاخلال بهذا الترتيب في
 داخل الابواب لا بين الابواب . اعني الاخلال في
 ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، اما
 الحروف الاخيرة فلا .

وهاك قدرا مما قاله الناظم في « باب الهمزة »
 لتبرز معالم منهجه :

بفرة الشهر فسر البراء كذا
 بالانس فسر بساء واكسرن لهما
 ثم البلاء لمنحة اتسى ولمح
 سنة ، كما جاء في القرآن متفهما
 ثنائات ابلى : اي ارويتهما ، وكذا
 ثنائات هي : اي اضحت ذوات ظما
 والاجتداء بسؤال فسرروا وعطا
 كذا الجداء ، قاله القالي عن العلما

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ .
 وقد افقه قريبا من عام 1297 ، اذ تمت النسخة
 الثانية منه على يد الناظم في ضحوة يوم الثلاثاء
 تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار
 الكتب المصرية ، التي تحت رقم 844 لفة .

والسبب الذي دفع الابياري الى تأليف نظمه
 اعانة الادباء الذين يرمون الى التائق بالجناس
 والتورية والمحسنات . واما المراجع التي اعتمد عليها
 فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشراحه ، قال
 الناظم في مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي في جمعها جمل
 تجمل المجتني من روضها كلما
 كل الذي ذكر القاموس جئت به
 الا الذي بصري قد زاغ منه وما
 وزدت اشياء من شرابه وسوا
 ها ، هكذا منه ، لكن بالذي فهما

حتى ظننت بان لم يبق قط من ال
 اضداد شيء ، ولكن يا اخي ربما

وشرح لنا الناظم منهجه في المقدمة ايضا ،
 فعرفنا بأنه لم يلتزم الالفاظ الواضح تضاد معانيها
 وحدها ، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجوز
 وتوسع ، وان تقدمه في احيان اخرى ، قال :

وربما كان في بعض الذي ذكروا
 تسامح بعموم او بما لزمنا
 فاقتفي اثرهم طورا ، وآونة
 ابدي الذي يشراى فيه للفهما

ولم يلتزم ايراد المعنيين المتضادين في كل
 لفظ من الاضداد ، بل حذف احيانا المعاني المعروفة
 المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :

طورا اجيء بكل المعنيين وطو
 را بالذي كان مجهولا ومنبهما
 فان تعددت الاضداد جئت بما
 يفني عن الضد من كل ، لينفهما

واجفئ الباب : اغلقه ، ودأده
معناه حرك ، والتسكين قد فهما

دارات خصمي - مهورا ، كذاك بيا -
دافتمه ، وكذا لابنته كرما

ما ستره ، ان شاء الله ، من الالماع ، بما يسحر
الاسماع ، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات ظريفة . .
تراها مرة شرعية ، وكرة ادبية ، وطورا يمانية ،
وحينا معدية . . . يرتاح اليها الفقيه ومن حذا
حذوه ، واللفوي ومن نحا نحوه . . . » .

وداب الرجل في هذا الشرح على معالجة نص
الناظم نحويا وعروضا وتفسيره تفسيراً كاملاً ،
وتناول كل ما عن له من مشاكل في النص . فهو يقوم
على طريقة التون والشروح والحواشي التي كانت
تسود العمود الاخير من تاريخنا . وصدر كل باب
بكلمة عن عنوانه .

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى في نظم الاضداد ،
تحت رقم 329 لفة ، باسم « منبه الرقاد في ذكر
جملة من الاضداد » لا يعرف مؤلفها . وقد تم
نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان
سنة اربع وثلاث مئة والف ، كما في آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة في عدة
مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الذي يقفي
شطراه وحدهما ، وتختلف القافية في الابيات بعد
ذلك . اما السابقة فكانت من بحر البسيط ،
والتزمت في رويها اليم المشبعة الفتحة . وانفق
الانثان في الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها
منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرح
ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بان قصده
بها علمي هو تنبيه الغافلين والجاهلين - ومن ثم
اسمها - على حين كان مقصد الابياري ادبيا علميا
كما رأينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهذا النظم

تنبيه كل غافل وامسي

سميته منبه الرقاد

في ذكر جملة من الاضداد

وأراد ناظمنا - كما اراد الابياري - الجمع
ورجع في سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن
ابن جني على حين رجح الابياري الى القاموس
وشروحه . يقول الناظم في المقدمة :

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيدته في كتاب
سماه « الرونق على الدورق » اكثر فيه واطال
واستطرد . ولكنه - فيما يبدو - لم يتمه ، وانما
اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ،
في مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان - حفظه
الله - قد ابتدا شرحه الموسوم بالرونق على الدورق ،
لكنه طال وسار بل سال ، في رياض الادب الفوال ،
عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحف المناسبات
الظريفة ، طرق الاستطرادات الشريفة ، وحقق
ودقق ، ونمق وائق ، وحرر وحجر ، ونضد ونضر ،
ونثر الدر والجوهر ، فاكثر . . . فقد رأيت منه اربعة
كراريس ، يبذل الاديب في مثلها النفس والنفيس .
ولكنه زهر في الاكمام ، وطفل لم يبلغ حد الفطام . . »

ورجا المؤلف من الحلواني ان يؤلف شرحا
مختصرا على قصيدته . فحقق الرجاء بكتابه الذي
تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844
لغة ، بعنوان « الكأس المروق على الدورق » ، وقد
فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر
سنة اثنتين وثلاث مئة والف من الهجرة الشريفة » .

وحدد الحلواني خطوات منهجه بقوله في
مقدمته : « فسرعت في الشرح وما اطلبه ،
فالمقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفرت
بشيء من الاضداد ، في باب من الابواب ، فاني
اذكره تميما للمراد ، في خاتمة ذلك الباب . ولا
التزم في اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون
نصا في الضدية ، سيراجع الدورق في منهجه من
اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ،
فاني ان رمته استعصى ، كيف واللغة بعيدة
الساحل ، مديدة المراحل ؟ . . . ولكن ما جاء عفوا
اخذته صفوا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام
مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فأسود به وجه
السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويكدر الاسماع ،
ويكون عارا لا يحويه اعتذار ولا استشفاع ، اللهم الا
ان كان من الحقوق الواجبة ، او سيق لمناسبة ، او
نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالفيء ،
فهذا لا اتحماه ، بل احمي حماه ، واتقي اذاه ، الى

احسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبتي عن فنها مع الحضور

واحسب هنامعنى اعد ، ويقول فى الخاتمة :

معمدا ضبطي على القاموس

لانى فى الفن كالبابوس (30)

وفى الصحاح جاعلا مجنى

وربما اخذت فى ابن جنى

وجمل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة
بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس
الايباري يقول :

وربما اومى للاشتقاق

والقيد ان كان وللاطلاق

وللمصادر فاضبط الكلم

والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الاخير من قصيدته للالفاظ
المتماثلة - اى الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض
حروفها بالابدال - والمقلوبة ، يقول :

وللمماتيلين والمقلوب

عونك يا مقلب القلوب

ولجا فى تقسيم قصيدته الى التقسيم الذى
ارتضاه صاحب القاموس ، والايباري . فالقصيدة
مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد
التي يحتوي عليها كل باب ، والالفاظ ترتب فى
داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، واواسطها
ولكن الترتيب كثيرا ما افلت منه فى داخل الابواب .

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما
يريد نظمه ، وأشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان
يفقر ذنوبه ، والصلاة على الرسول وآله وصحبه
والتابعين .

وهذا باب الهزرة منه ، يمثل تناوله ونظمه :

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

نائا ذا ابله : ارواهها
كذا اذا اغرى بها صداها

وثائتات هي : اذا ما رويت
يوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفا الباب : اذا ما اغلقه
كذا اذا فتحه : فحقته

دائرات ذا : دفمته لشره
كذا اذا لابنته لمسره

رقا : افسد واصلح ، خذ
والصدر الرقو ، والرقا انيد

والقرء ، بالفتح وبالضم اتى
يكون للحيض وطهر ثبنا

وناء زيد : خف او قد ثقلا
فمعجز الحال به بين الملا

ثم السورا بهمز لا اعتلال
يكون خلف وامام تالى

عكس الذى توهم الامام
الجوهري العالم الهمام

ويتضح من هذه الابيات ان الناظم خالف الايباري
فى عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين
فى كل نفظ ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع
الايبيات ، ثالثا الاشارة الى المشتقات مثل مصدر
الرقو ، رابعها الضبط واللفات فى القرء ، خامسها
نقد الجوهري فى « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها
الهمز ، وقد اخذ هذا النقد من الفيروزابادي ،
سادسها انه يترك بعض الاضداد التي ذكرها الايباري ،
اي عناية الاخير باستقصاء الاضداد اشد من عناية
صاحب « المنبه » . ومن اهم اوجه الخلاف ايضا
شعور المرء - بان قصيدة صاحب « المنبه » اشد
سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلفا من قصيدة
الايباري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر فى الابيات
السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها ، اهمها
اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التي لا تدخل
فى المعنيين المتضادين للاضداد مثل قوله :

الأزر للضعف والقوة قل

الفرييب المصنف

وللاحاطة وللظهر نقل

فمعاني الشطر الثاني لا تدخل فى الاضداد ،
وقوله :

وبتر الرجل : اعطى ومنع

كذا اذا طلى الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين ،
وكذلك قوله :

والشع - بالكسر - : قبال النعل

ولقليل المال ثم الجسل

فشع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك
كثيرة ، ولم يعن الابياري بها .

وبعيب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد
فيها عما فى الدورق ، وكثرة الاضطراب فى
الترتيب ، كما يظهر فى باب الباء ، والحاء والدال ،
والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الاضداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب
مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم فى هذه الحركة ،
بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم
الجامعة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان نغفل او
نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل
شأنا من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على
ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها :
الفرييب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى
بين عامي 223 - 230 - ، وادب الكاتب لابن قتيبة
270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي
المتوفى عام 429 ، والمخصص لابن سيده المتوفى
عام 458 ، والمزهر للسيوطي المتوفى عام 911 هـ .

(31) البغية 376 .

(40) 323 - 4

(41) 313 .

اما ابو عبيد فاعتمد فى « باب الاضداد » من
غريبه على اساتذته « ابي زيد ، وابي عبيدة ،
والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31)
والثلاثة الاول خاصة . واورد فى هذا الباب 41 ضدا ،
كها موجود فى الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان
اعتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ،
فصدر الباب بعبارة : « سمعت ابا زيد يقول » .
وانواع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد
الحقيقية ، واضداد التغول ، واللغات ، والقلب ،
وصيغة افعال .

وسار المؤلف على خطة ايراد اللفظ ، ثم معنييه ،
ثم شواهد ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله .
وهو فى اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكيت
متفق معها . قال مثلا : « قال ابو زيد : طلعت على
القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ،
وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . وقال :
لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته فى لغة بني
عقيل ، وسائر قيس يقواون : لمقته : محوته » .
وقال ابن السكيت (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت
على القوم اطع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ،
وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . ويقال :
لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته فى لغة عقيل ،
وسائر العرب يقولون : لمقته : محوته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر
عبارة ابن السكيت ، كما نرى فى قوله : « فرع
الرجل فى الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال
معن بن اوس :

فساروا ، فاما جل حي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرع فى الحالين جميعا .
وقال ابن السكيت (41) : « فرع الرجل : اصعد
وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فاما جل حيي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

فاعد لما تعلق فمالك بالذي
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب امره : يعني يفرقه ويشتته .
وقواه : لما تعلق ، يقول : تكلف من الامور ما تقهره
وتطبيقه . وشرح ابن السكيت اوفى من ذلك ، اذ
قال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال :
شعبت اهوؤهم : اي تفرقت . وقوله : لما تعلق : يعني
تكلف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو عال
لذلك الامر : اي ضابط له قاهر » .

وتاتي مزايا هذا الباب من الاضداد من انه
يصحح بعض نقول ابن السكيت ، كما فعل في (لحق)
اذ نسب معنى (محا) الى قيس . موافقا بذلك ابا
حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفنا قول
ابن السكيت (48) .

ويمتاز ايضا بأنه ينسب كثيرا من الاضداد
التي اهملها ابن السكيت وأبو حاتم الى اصحابها
الذين قالوها ، مثل افاد ، واودع . والشيح وصارخ
وهاجد وصريم وبثر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في
تضاعيف الشرح ، والخطبة التي اتبعها في علاج
الاضداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويحذف
ما عدا ذلك ، ويقتل الشواهد ، حتى صار الباب
في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكيت وابي
حاتم وابن الانباري الفاصلة بالشواهد والمعلومات ،
وبين كتاب الصغاني الذي حذف الشواهد جميعها .

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعها لها
مادة « دون » مرتين : اولهما في منتصف الباب
عن ابي عبيدة ، وثانيتها في آخره تقريبا عن غير
ابي عبيدة . ولن نعتذر عنه باختلاف الراوي لانه
كان يستطيع التنبيه الى ذلك في الموضع الاول ،
ويستغنى عن التكرار . . والمأخذ الثاني عليه ايراد
بعض الاضداد التي تقدمها المؤلفون ، مثل خنديذ

ويروي : فاصعدا . ويروي : فأفرعوا . وقد
أفرع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وأفرع : اذا
صعد ، قال الشماخ :

فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي

لا يدركنك افراعي وتصعيدي

وقال رجل من العبلات من بني امية :

اني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفي امية افراعي وتصعيدي

الرواية : وتصويبي . فحذف ما اورده في
« أفرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف
ما بعدها من شواهد . وكثيرا ما كان يحذفها
اختصارا .

وبرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احيانا على ما
في اضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال ابو
زيد : السدفة في لغة بني تميم : الظلمة ، والسدفة ؛
في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد
اليزيدي ، وانشد للعجاج :

« واقطع الليل اذا ما اسدفا »

اي اظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط
الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار .
ولم يرو ابن السكيت (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن
الانباري (44) العبارة الاخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهد ،
والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن
السكيت في اكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك
في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء اصلحته ،
وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي
النية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن غدير الغنوي :

وإذا رايت المرء يشعب امره
شعب العما ويلج في العصيان

(42) 43 ، 316 .

(43) 1144 .

(44) 645 .

(45) 277 .

(46) 1372 .

(47) 133 .

(48) 324، 50 .

على ضدين فقط ، أحدهما بيت من الشعر ، والثاني
بآية من القرآن : قال الخيلولة للشك واليقين ،
قال أبو ذؤيب :

فبقيت بعدهم بعيش ناصب
وأخال اني لاحق مستتبغ

أي وأتيقن . والنسب المثل والضد
وفى القرآن : (وتجعلون لله اندادا) على
المعنيين « . وواضح من هذه الخطة ان المؤلف لا يريد
الا ان يأتي ببعض الامثلة على الاضداد فى اللفظ ، اذ
هي فى رأيه « من سنن العرب المشهورة » كما قال
فى أول فصل الاضداد . فلاضداد عنده ليست
مسألة او مشكلة علمية تبحث ، بل مسألة فرغ
البحث منها ، فهو يشير اليها فقط ، ويمثل لها ..

ونستطيع ان ندخل من كتابه ثلاثة فصول
أخرى ، لان مؤلفي العرب القدامى اعتبروا امثالها
من الاضداد ، وهي « فصل فى المفعول يأتي بلفظ
الفاعل و « فصل فى الفاعل يأتي بلفظ المفعول (51) .
و « فصل فى المدح يراد به الذم فيجرب مجرى التهكم
والهزل » . ويحتوى الفصل الاول على سبع كلمات .
ودرج فيه على ذكر الكلمة فى عبارة ، ثم يفسرها باسم
المفعول . قال : « تقول العرب : سر كاتم : أي
مكتوم . ومكان عامر : أي معمور » . ولم يورد
الالفاظ الباقية فى عبارات ، بل فى آيات قرآنية ،
والاخيرة منها فى بيت من الشعر ، وفسرها كالكلمات
الاولى . قال : « وفى القرآن « لا عاصم اليوم من امر
الله (أي لا معصوم . وقال تعالى : (خلق من ماء
دافق) أي مدفوق . وقال : (عيشة راضية) أي
مرضية . وقال الله سبحانه : (حرما أمنا) أي
مأمونا . وقال جرير :

ان البلية من تمل كلامه
فانفع فؤادك من حديث الوامق

أي من حديث المومق « .

ويحتوي الفصل الثاني على لفظين ، ذكرهما
المؤلف فى آيتين ، وفسرهما باسم الفاعل قال :
قال تعالى : (انه كان وعده ماتيا) أي آتيا . وكما
قال جل جلاله : (حجابا مستورا) أي ساترا « .

وأسر ، التى أوردهما أبو عبيدة ، وتقدهما أبو حاتم ،
ونقل النقد ايضا ابن الانباري .

— * —

ادب الكتاب

وأفرد ابن قتيبة بابا صغيرا من ادب الكاتب ،
« للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا .
ونهج على ان يقدم اللفظ المراد ثم معنيه المتضادين .
واكتفى بذلك كثيرا ، وفى مرات أخرى اورد
شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشرط واحد من
الشاهد . ونسب فى احد الاضداد قولاً لابي عبيدة ،
وأخر للفراء . وأورد فى احد الاضداد ايضا قولاً
يبطل التضاد اخذه من أبي عبيد وان لم ينبه الى
ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو
الابيض ، قال الشاعر :

بيادر الجونة ان تفيبا

يعني الشمس .

والصريم الليل ، والصريم الصبح .

والسدفة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعضهم
يجمل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين
طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشيء الكبير ، والجلل الشيء
الصغير « .

سر العربية

وأفرد الثعالبي فى كتابه « سر العربية فى
مجازي كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن
على اكثرها » فصلا خاصا بالاضداد ، سماه « فصل
فى تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جدا كبقية فصول الكتاب ،
ويحتوي على ثمانية اضداد فحسب . نهج المؤلف فى
معالجتها ، على ان يذكر الكلمة ، ثم معنيها . قال
مثلا : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاطهار
والحيض ، والصريم ليل والصبح .. » واستشهد

(49) 177 - 181 .

(50) 5652 .

(51) 492 .

ويحتوي الفصل الثالث على أربع عبارات، تجري مجرى الاستهزاء في كتب الاضداد ، والاخيرتان منها آيتان قرآنيان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال أو الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها في عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالمتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمرأة تستجبها : يا قمر . وفي القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

— * —

المخصص

وافرد ابن سيده في كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة في بحثها . وتناول في هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومترادف ومشارك وعمل كل قسم منها ووضع الاضداد في المشارك وبين ان اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكرها كما رد على منكري الترادف . واقام كلامه هذا في المقدمة على ما قاله سيبويه في اول كتابه ، وشرح أبي علي الفارسي لهذه الاقوال .

واورد ابن سيده في بابه حوالى مئة ضد ، اعتمد في الشطر الاول منها على أبي عبيد ، وفي الثاني على ابن السكيت ، واورد في الجزء الاخير منها اضدادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضداد الغريب المصنف اتفاقا تاما ، عدا مواضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر ، او اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف المواد التي سبق اقتباسها من أبي عبيد . اذا كان الاثنان اشتركا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذي سار عليه ابو عبيد الا انه مال الى الاختصار أكثر منه . وتمثل هذا

الاختصار في تغيير عبارته ، وبعبارة ابن السكيت ، بما يفظها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك في قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه امقا : كتبه ، عقيلية ، ولقته محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك في قوله (54) : « القوي : الذي لا زاد معه ولا مال له ، والقوي : المكثّر : يقال : اكثّر من (اتيان) فلان فانه مقو ، والقوي : الذي ظهره قوي » . وحذف في بعض المواضع عبارات ضرورية في المادة ، مثال ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفر » فاقصر على العبارة الاخيرة من قول أبي عبيد ، ولم يظهر وجه اعتباره مادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من اشياء . فقد حذف أسماء الفويين الذين رووا الاضداد وذكرهم أبو عبيد وابن السكيت ، واكتفى بنسبتها الى أبي عبيد وابن السكيت . وكان أبو عبيد خاصة يحب ان يشير الى الاضداد التي اتفق فيها بعض الفويين ، فحذف ابن سيده كل ذلك . .

وحذف بعض الشواهد ايضا .

اما الشواهد التي ذكرها فحذف كثيرا من اسماء قائلها ، وكان أبو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وآخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة في اول المادة ، في بعض الاضداد ، مثل : « شريت : بعث واشتريت ... دحت الشيء دوحا : جمعته وفرقته . .

ولكن - برغم ميله الى الاختصار - كان لا يحذف شرح الشاهد او التعليق عليه ، كما نرى في شري ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان في بعض المواضع يحذف الشاهد ويأتي بآخر بدلا منه ، كما فعل في « سواء » .

ويمتاز هذا الباب - الى جانب الاختصار - بما اتى به من اضداد زائدة على ما في كتب ابن السكيت وأبي حاتم وابن الانباري . فقد رجع - للمرة

(52) 13 : 258 .

(53) 26 .

(54) 265 .

(55) 261 .

على متن الاضداد ، او هو بعبارة ادق ، فى مرحلة متوسطة بين باب الاضداد عند ابي عبيد وكتاب الصغاني من حيث تناول ، ولكنه يفوق باب ابي عبيد من حيث عدد الاضداد التى يحويها . وادق وصف له انه اعظم باب من مجموعة لغوية فى عدد الاضداد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعيبه غير بعض ما اجراه من حذف شديد فى بعض الاضداد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

* — الزهر

وفى القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « الزهر » للاضداد ، وعنوانه « النوع السادس والعشرون : معرفة الاضداد » . وعالج السيوطي الاضداد علاج ابن سيده لها ، اى اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناوأت تقسيم الكلام ، واقوال بعض اللغويين فى ذلك وفى الاضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس اقواله هذه من علماء لم نرهم فى المخصص ، مثل الكيا ، وابن فارس والمبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاضداد نفسها .

واعتمد السيوطي فى الجزء الاول من اضداده على ما رواه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من اضداد ابي عبيد لم يقتبس اضداد ابن السكيت مثله بل تتبع الاضداد فى بعض المعاجم مثل جمهرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس للفيروزابادي ، وكتب الامالى والرسائل الخاصة مثل امالى القالي ، ومجاز الكلام وتصاريفه لشعرب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادير ابن الاعرابي والمقصود والمدود للاندلسي ، والمشاهدة للأزدي ، والانفال لابن القوطية . ويتضح من هذا ان السيوطي خالف القدماء فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاضداد نفسها ، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطي اكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ ومعنييه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعنى الا بما تعلق بالاضداد نفسها ، اى يحذف

الاولى فى تاريخ الاضداد - الى معاجم اللغة الكبيرة، كجمهرة ابن دريد (دوح والعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يؤلفوا فى الاضداد ، ولكن التقطوا منها أشياء كابي حنيفة الدينوري ، الزاهق) او الفوا فيها ، ولكن روى عنهم اضدادا ليست فى كتبهم كابن السكيت (الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة عن علاجه لاضداد ابي عبيد وابن السكيت ، غير انه خصص لها الجزء الاخير من بابيه . وان تثار منها شيء فى داخل كلامه المتببس عن ابي عبيد وابن السكيت ..

ولم يزد فى الاضداد وحدها ، بل زاد احيانا فى الشرح ، مثل ما فى (اودع) ، وحيانا بايراد بعض المشتقات التى لم يوردها سابقوه ، مثل ما فى (المسيح) ، وبعض الزيادات الاخرى التى نرى امثلتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ، وسواء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الاحيان او اكثرها ينسب هذه الزيادات الى اصحابها .

وفى آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ ، وجعل عنوانها « ما هو فى طريق الضد » . وهو فصل شبيه بالقرب من الاضداد او ما يجري مجراها ، مما رايناه فى كتب الاضداد . واورد فيه بعض الالفاظ التى تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنج عليه الشيء يسنج ستوحا : سهل ، وسنحت بالرجل : اخرجته » . وروى احد هذه الالفاظ عن ابن السكيت (وليست فى اضداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن ابي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على اربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول ان هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاضداد » الذى اطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة فى شيء - لا فى مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد او علاجها او شواهدا ، او ما الى ذلك . بل مائلها فى العناية بما يجري مجراها ايضا . ولكنه من الكتب التى تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية والمعاني الاخرى للاضداد ، وما مائل ذلك من امور وجدناها فى بعض الكتب المستقلة . فهو فى مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصغاني القاصر

وخلاصة القول في هذا الفصل انه يضارع
فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استفناؤه
عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع
كتاب الصغاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب
والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

((الخاتمة))

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق
وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق
العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعان
على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت
الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا
الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم
يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلنة من
المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة - او افراد منها -
هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة القريبة
بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسداجته ،
او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او
التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى يمثل سوء الفهم
الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد ميكر ،
اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوا مختلفين . فاذا تأملنا
ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم
تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا .
فهم يتجادون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي
مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد ،
وفي داخل مجال واحد ، لهدأ كثير من الخصومة ،
وبطل كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون في مجال
ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم
يمشروا على ااضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا
الاضداد برمتها . وأبوا ان يسموا بالاضداد ما جاء
دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان
ضمتها اللغة العربية بعد .

الشواهد ، والشروح ، والمشتقات وما اليها ، فلا
ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من
« متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصغاني . يقول
مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ،
واجعيت الأبل : اذا مضت جادة . وبعث الشيء :
اذا بعته من غيرك ، وبعته : اشتريته . وشريت :
بعث واشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ،
وشعبته : شققته ، وشعوب منه ، وهي المنية لانها
تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد :
النائم » .

ولجأ في الاضداد التي نقلها عن أبي عبيد الى
ترتيبها على قائلها . فقد نشر أبو عبيد ااضداد كل
لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت
عنده مختاطة بما يروى لغيره فلما ادخلها السيوطي
في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم ااضداد
أبي زيد ، فالاصمعي فأبي عبيدة فالكسائي فالاموي ،
فما رواه غير واحد ، فأضداد أبي عمرو ، فالاحمر .
وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهمة الى ما بعد
اضداد الاحمر . ومن الغريب ان « الاحمر » لا يرد
له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف
الموجود في ايدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من
نسختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ ان هناك
بعض الاختلاف بين النسختين ، فبينما تنسب
نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي
لابي زيد ، وسقط من نسختنا احد معنيي « اشكى »
المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك ااضداد أبي عبيد
اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب
الكتب التي اخذ منها ، بل أورد ما وقع منها تحت
نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده
بعض المواد مرتين وأكثر ، مثل « سوى » رواها عن
أبي عبيد - وابن دريد ، و « الفايبر » رواها عن ابن
دريد والجوهري ، و « نصل » عن الفارابي والجوهري ،
وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مئة
وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء
بعض من ألف في الاضداد ، ثم سرد اكثر مقدمة
كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري . .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول. واصلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين. اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغييرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة ، فتبدو الآن فى صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يابى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذفاً ، او تخفيفاً او ابدالاً ، او اعلالاً ، او مجازاً ، او تغاؤلاً وتظييراً ، او ما شاكل ذلك من امور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب فى دلالة هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجالهم . نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او - ان شئنا الدقة - لم تهتمهم الاسباب - فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . واصلن اكثرهم ان كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتضها الاخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . واصلنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يابهاوا للاسباب التى ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله ، لان وجود سبب للضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتازعين :

1 - هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واصلنوا الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للفئة العربية ، كما ظن الشعوب قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع - فى اعتقادي - التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة فى رفض الاضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص . اما المؤيدون فقد سموها « الاضداد » ، فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فاهلا بها .

4 - هل الاضداد بالشيوع الذى صوره القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضايق حيناً واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال ، باديء الامر عند المحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غربيا عند اول مؤلف فى الاضداد : قطرب ، فشمّل شتاتا غربيا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضيق المجال الذى وسعه ، ونفى كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه . فاخذ تصور الاضداد فى الوضوح ، وحدودها فى البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فالمجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 - هل تعد كل الانواع التى اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل ، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

ج - ما وضع في الاضداد تعسفا او تكثرًا ،
مثل الالفاظ التي تختلف معانيها دون ان تتضاد ،
والالفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من
ادوات كـرغب عن والى ، وانصرف عن والى ،
وغيرهما .

6 - ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم
الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى
الذى يدل عليه اللفظ . وهنا احتريز فأقول المعنى
الحق للفظ . واعني بهذا الاحتراز امثال هذه الالفاظ
التي لم يحسن بعض اللغويين التنبيه الى معناها الحق ،
ونسبوا اليها معاني بدت متضادة . فالصرير هو
الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر ،
كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ،
وليس الصرير الليل خاصة ولاالنهار خاصة . والدليل
الجلي على ذلك أصل اللفظ ، ومعناه ، فأصله
الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حائكة ولا ضوءا مشرقا ،
بل هي الظلمة التي ينبعث فيها الضوء ، او الضوء
الذي تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ،
سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح .
وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء
انفسهم ، كما فعلوا في المأثم والطرب وغيرهما .
وليست هذه الالفاظ من الاضداد في شيء .

واذن فما وجدنا معانيه تؤول الى معنى واحد
لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد . وما دل
من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا
او ذهنيا ، يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا
صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يمكن
الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة
للاضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

ا - ما اختلف في تفسيره من الآيات، والاشعار،
والاقوال . فالانفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد
فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من
اختلاف الناس في فهم هذه العبارات في مجموعها .
ومثال ذلك الآية التي اوردناها سابقا : (وقال رجل
مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف
المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل
فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف
صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ،
من اقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميعا .
وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان
الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي
لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ،
فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ، غير انه يخفي هذا
الايمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من
الاضداد في شيء .

ب - الفاظ وعبارات التفاضل والتطير
والاستهزاء . فاننا يجب ان نعترف ان المتحدث قد
يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احيانا على الواقع
الخارجي ولا يصدق اخرى . فالتحدث (المتفائل او
التطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ،
فيوفر لنفسه كل السبل التي تؤدي به الى نسيانه .
ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطائه اسما آخر
لا يدل عليه . واذن فالتفائل حين يسمي اللدوغ
سليما ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التي
يكرهها ، بل الصورة التي يحبها . فاللفظ اذن
مستعمل في معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع
الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث
يريد ان يرسم في ذهن المستمع صورة متفائلة .
فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم
والمستمع كليهما ، وان كان معناه ذهنيا لا واقع له
في الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك
تفاضل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا
وامثاله من الاضداد في شيء .